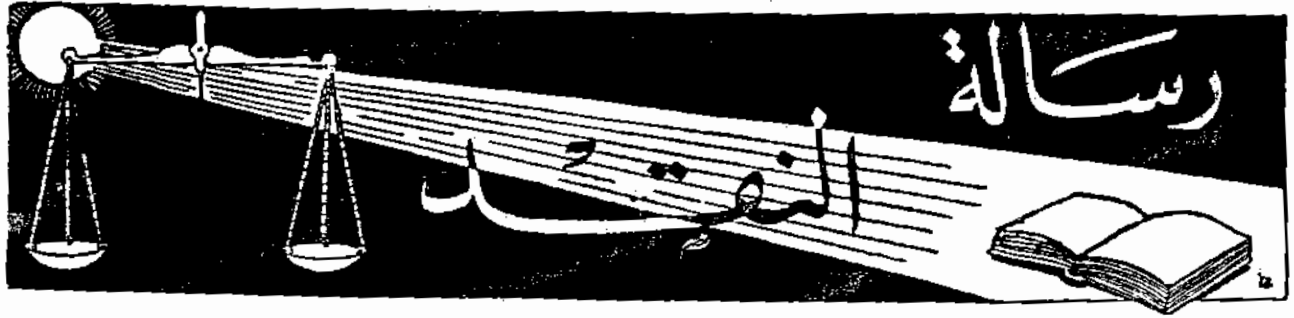




نظرات في كتاب

« بعث الشعر الجاهلي »

تأليف الدكتور مهدي البصير

بقلم الأديب خليل أحمد جلو

— ٣ —

أن نقد التلميذ لأستاذه بر واعتراؤه بالجميل لما جازفوا في قولهم .
والدكتور مهما بلغت به سورة الغضب وشدة الحنف سيضطر
عاجلاً أو آجلاً أن يعترف بفضل هذا النقد ووجاهته
أما بعد فإن المؤلف ذوقاً خاصاً في تقدير قيمة الأشعار خرم
السلامة والجمال . وأحسن ما يتجلى وذلك في تذوقه البيتين
الأولين من معلقة امرئ القيس :
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالقراءة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
فقد ملكت روعتها مشاعره وإحساساته . وشهد لها « بالضبط
الذي لا يفتن إلى سوى كبار الشعراء » (ص ٢٥)
قولوا ماشئتم في قيمة هذين البيتين الأدبية ، أما أنا فلا أعتقد
أن لها جمالاً يخلب القلب ولا سحراً يأخذ بالقلوب ، ولا ضبطاً يجدر
بصغار الشعراء أن ينتهوا له بله كبارهم . وأي روعة أدبية فيهما
وهما يرسمان خارطة لنزل حبيبة الشاعر؟ وهل من الأدب في شيء
قولي : إن شارع أبي نواس يقع في نهاية « الباب الشرقي » ،
ويعتد على ضفة دجلة اليمنى ، تكتنفه المقاهي والمتنزهات ؟ . كلا ،
إن هذا الضرب من الكلام أقرب إلى كلام العوام فلا يهتم الأدب
شيئاً . إنما يهمه ما في الشارع من قدود هيف ، وعيون دمع ،
ومنظر للنهر والفضاء ساحر أخاذ حين تجنح الشمس للغروب
ويتحرك النسيم الليل

وهل فطن الدكتور للأخطاء التي ارتكبها الشاعر في تركيب
هذين البيتين فأثرت على معناها وقلت من قيمتهما ؟

لقد عقدت النية ووطدت العزم على محاسبة الدكتور مهدي
البصير حساباً عسيراً بلا ترفق ولا استبقاء . ولكن الأستاذ
الزيات شقيق رفيق فأشار إلى إشارة خفية بأن يكون حسابي
يسيراً ليناً . وسأفعل إن شاء الله

ولا يحسب القاري أنني سأحيد عن الحق والحقيقة أو سأخذني
فيهما رأفة أو هوادة . ولكني سأبذل قصارى جهدي وأحرص
كل الحرص على أن يكون النقد شريفاً صادقاً كما تمودت وألفت
وأبتعد عن غواية الأهواء وضلالة المواقف على قدر ما تسمح نفس
إنسان شريف

لقد أجمع أصحابي على أن النقد الذي حدثكم به من قبل زبه
معقول ، ولكنه عبء ثقيل على الدكتور البصير لا يحتمله كاهله
فكان على أن أتجنبه وأسمح له أن يحيا حياة هادئة مطمئنة
لا يكرها نقد ولا تنقصها مؤاخذه ، وكان على أن أزهق الحق
وأظهر الباطل في سبيل ما يحب ويشتهي ، وليس ذلك على بعز
ولا عليه بكثير وهو أستاذ في الدار التي تخرجت فيها

لقد أخطأ هؤلاء الأصحاب وشطوا عن السواب . ولو علموا

لقد ينت سابعاً أن الدكتور البصير يثق كل الثقة بما يرويه
المؤرخون ويتناقله القدماء بلا جدال ولا مناقشة . فهنا يسوق
برهاناً آخر على حسن ظنه وعظيم تمسكه بهم ، حتى إنه لينكر
على الناس أن يركنوا في استطلاعهم على تاريخ امرئ القيس
إلى شعره ويقرض عليهم أن يلتفتوا إلى ما قاله القدماء بلا شك
ولا ارتياب

أنصح لك يا دكتور مرة أخرى ألا تنق في أقوال القدماء
كل الثقة ، وأن تستمع للقاتل الأصيل فهو أصدق وأحق أن
يرجع إليه ، وألا تنهم مؤرخي العرب بأنهم لم يستدلوا يوماً ما
على شيء من حياة الشاعر أو تاريخه ، فليس من المنتظر أن يصدر
منك هذا القول الجزاف

هل تشكر أن الشعر بصورة عامة يمثل حياة صاحبه وأنه
مرآة غاداته وأخلاقه وتقاليده وميوله

إن الأستاذ العقاد استطاع أن يعطى صورة صادقة عن
ابن الرومي رسماً في شعره ، وإن الأدباء اليوم لا يكتبون عن شاعر
أو كاتب حتى يشبعوا شعره أو أدبه دراسة وتحصيماً
الله أكبر . إن شعر امرئ القيس لا يمكن الاعتماد عليه
ولا يدل على شيء من تاريخ صاحبه وهو الذي يحدثنا أن (قنابك)
لا تمثل سوى حياة قائلها

ولا أدري كيف جوز لنفسه أن يقول إن المؤرخين لم يستدلوا
من شعره على حياته ! ألا والله لو سألت أقل الناس ثقافة أن
يشرح لك هذين البيتين :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
قتلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنمذرا
لاستدل لك بهما على حياة عريضة لامرئ القيس ولأنباك
بقتل أبيه واغتصاب ملكه وفزعه إلى قيصر بيزانطة واستنجاهه به
على أعدائه ، ولأنك فادك بأن الشاعر قال هذين البيتين وهو في الطريق
حين هلع صاحبه وجزع

(يتبع)

نبيل أحمد جابر

رحم الله الباقلائي فقد قال : إن امرأ القيس في مطلع قصيدته
الملقعة كأنه دلال يبيع داراً ينادى إن الدار المرقمة كذا ، والتي
يمحدها من الشمال كذا وكذا معروضة للبيع
وغفر الله للأستاذ إبراهيم شوكت قوله : إن امرأ القيس
واضح أساس علم الجغرافية عند العرب ، فهو يعرف الشمال
والجنوب ويحسن التحديد

وبارك الله في الدكتور زكي مبارك فإنه يستخف هذا
النوع من الكلام ويأبى حشره مع الأدب ونسبته له

وأحدثكم بعد هذا عن ادعاء الدكتور مضطرب مختلط
إذ يقول (ص ١١) : « إن شعر امرئ القيس لا ينفى شيئاً
ولا يثبت شيئاً ... وإن مؤرخي العرب لم يستدلوا بشعره يوماً ما
على شيء » من حياة الشاعر أو تاريخه . وفي هذا القول من الخطأ
والزلل ما يثير الدهش والاستغراب . إذ يستخلص منه أن قصائد
الشاعر لا تمثل شيئاً ولا تدل على شيء ، فهي إما لغو وإسفاف
لا يمكن أن يستنبط منها صورة حياة الشاعر ، وإما انتحال
واختلاق حلت عليه حملاً ؟ وإن ما نسب له من شعر موضوع
مقتل من قبل أناس لم يحسنوا التقليد ولم يمرنوا على الإيهام ،
وإن « قنابك » التي لا يشك المؤلف (ص ١٣) : « في أنها
جاهلية بحتة ولا في أنها من شعر امرئ القيس ذاته » ليست له
تلاحظ هنا ارتباك المؤلف وخطبه ومناقضته لنفسه ،
فبينما يقرر حقيقة وجود امرئ القيس إذا هو ينفية من حيث
لا يشعر ، وبينما يعترف بأن شعره المنسوب إليه لم ينظمه سواه
إذا به ينكره غافلاً

والتي ساقه إلى هذا التورط المحاولة التي يدحض بها
استخلاص الدكتور طه حسين من قصائد الشاعر ما يستدل به
على إنكار تاريخه

ويزعم بهذه المحاولة أن ما أُر عن امرئ القيس في شعر
لا يضح الاعتماد عليه لمعرفة حياته ، وأنه يجب أن نرجع إلى المصادر
التي يروي عنها مؤرخو العرب ونستقي منها ما يمكن أن يقال
عن الشاعر